

توظيف الموروث الشعبي والتراث الديني وسؤال الهوية في المنجز الروائي الجزائري  
رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " للطاهر وطار انموذجا.

Employing popular heritage, religious heritage, and the question of identity in the Algerian novel - The novel "The Pure Guardian Returns to His Pure Place" by Al-Tahir Watar is an example.

الدكتور عبد الله توام<sup>1\*</sup>

كلية الآداب والفنون . جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف ( الجزائر )

abdallah\_touam31@yahoo.com

الأستاذ الدكتور شرف عبد القادر<sup>2</sup>

كلية الآداب والفنون . جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف ( الجزائر )

kamal@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال: 2024-11-15. تاريخ القبول: 2024-12-11. تاريخ النشر: 2024-12-31

ملخص:

نسعى من خلال دراستنا هذه إلى الكشف عن تجليات الموروث الشعبي والتراث الديني في المنجز الروائي الجزائري، وبدرجة أخص التجربة الروائية للأديب الجزائري " الطاهر وطار " في تعامله مع التراث من خلال أعماله الأدبية لإثبات الهوية العربية والدينية، إذ أفاد كثيرا في إغناء الكتابة الأدبية الجزائرية في هذا المجال. وسنحاول من هذه الدراسة أيضا الكشف عن أهمية توظيف الموروث الشعبي والتراث الديني في الأعمال الأدبية لأصالتها وقدرة على الوفاء بالحاجات التي ترفع من شأن القيم الإنسانية العليا، وتبرز الخصائص القومية والملاحم الدينية والوطنية والاجتماعية، وتعين على حركة التاريخ عبر محطاته الزمانية المختلفة، وتثبت الهوية العربية والدينية.

الكلمات المفتاحية: الموروث الشعبي، التراث الديني، الهوية، المنجز الروائي الجزائري.

\* المؤلف المرسل : د. عبد الله توام.

## Abstract :

Through this study, we seek to reveal the manifestations of popular heritage and religious heritage in the Algerian novelist's work, and in particular the novelistic experience of the Algerian writer "Taher Wattar" in his dealings with heritage through his literary works to prove the Arab and religious identity, as it greatly benefited in enriching Algerian literary writing in This field. From this study, we will also try to reveal the importance of employing popular heritage and religious heritage in literary works for their originality and their ability to meet the needs that raise the highest human values, highlight national characteristics and religious, national and social features, aid the movement of history across its various temporal stations, and establish Arab and religious identity.

**Keywords:** Popular heritage, religious heritage, identity, and the Algerian novelist's achievement.

## 1 - مقدمة :

يطمح الروائي المعاصر إلى إغناء تجربته الروائية بتطويع التراث، معبرا عن رؤيته وفهمه للواقع مستفيداً من مخزونات وتجاربه، مما يجعله يوظف التراث فيبدع دلالات تُغني تجربته الروائية، فينوع في مستويات خطابه السردي. والرواية عمل تخييلي، مما يجعلها تختلف عن الواقع كما قال أمبيرتو إيكو: ( Umberto Eco ) " فالرواية قصة خيالية"<sup>1</sup>، ويمكن للروائي أن يوظف التراث، مما يناسب رؤياه بعيدا عن الالتزام بالتاريخ وسير أحداثه بشكل جديد لصالح الإبداع الروائي من حيث المعنى والسرد وتطور الحدث والزمان والمكان، فنجد الروائي يستدعي التاريخ والحكاية الشعبية والسيرة وكتب التراث والنص الديني.

ولم تكن الرواية الجزائرية بمعزل عن هذه التحولات الكبرى، فانحازت هي الأخرى لنوع من السرد الذي يمكن أن نسيمه بأنه سرد ما بعد حدائتي لامتزاجه بالتراث الديني؛ إذ تنوعت الموضوعات، وتداخلت لتعبر عن نوع جديد من الكتابة في الساحة الروائية ببناء تصورات جديدة لأننا والآخر والمجتمع والثقافة والتاريخ، الأمر الذي يستدعي إخضاع المنجز الروائي الجزائري لتصورات ما بعد الحداثة وفلسفتها، لما تتيحه إمكاناتها الجمالية والفلسفية من احتواء لنسق العصر الحالي أو مناوآته.

وبهذا يمكننا التطرق إلى مجموعة من الأسئلة المحورية منها :

- كيف يمكن توظيف التراث الشعبي في المنجز الروائي ؟

- هل توظيف التراث الشعبي في المنجز الروائي وسيلة من وسائل إثبات الهوية العربية والدينية ؟

## 2 مفهوم الموروث الشعبي :

كلمة موروث تشمل ما تركه الأوائل من أبنية وقلاع وفنون من رسم وموسيقى وغناء ورقص ومؤلفات لغوية وأدبية وعلوم الطب والفلك والصناعة وغيرها وكلها تشملها كلمة (تراث). والتراث جزء مهم من ثقافة وتجارب وعادات وعلوم وخبرات الأمم، تراكم وتكدّس خلال الأزمنة، وهو جوهرها وقوامها الاجتماعي والثقافي والخلقي والفكري والتاريخي والإنساني والسياسي المتمثل في الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ. وهو ظاهرة حضارية تدلّ على مستوى الوعي والرفي الثقافي والأدبي شعرا وقصصا وحكايات.

أما الموروث الشعبي العربي الفكري فهو ظاهرة حضارية تدلّ على مستوى الوعي والرفي الثقافي المتمثل في الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة ومبتورة فوصلت إلينا بأشخاصها، فيعبر عن مجموع التاريخ المادي والمعنوي لحضارة معينة منذ أقدم العصور لتصل إلينا عبر التراث شعرا وقصصا وحكايات لثقافتهم التقليدية، ولا زال الأدباء العرب يوظفون الموروث الشعبي - الذي خلفته لنا الأمة العربية - في رواياتهم وقصائدهم وأعمالهم الأدبية مواصلة للركب الحضاري.

ويعد الموروث الشعبي العربي موردا خصبا لما يتوفر عليه من إمكانات النفوذ والفاعلية والتأثير في نفوس المتلقين، لما يتضمنه من خبرات ومبادئ إنسانية وقيم فنية خالدة، لأنّ معطياته لها القدرة على ذلك، حيث تعيش هذه المعطيات التراثية في أعماق الناس. يستغلها الشاعر والروائي في الإبداعات الأدبية خاصة الروائية منها لما لها من أهمية وقيمة أدبية لارتباطها بالمتلقي. وتفاعل المتلقي مع النص الأدبي المتضمن للموروث الشعبي يكمن في مقدار شعرية توظيف الأديب للموروث. وهذا لا يعني نقله كما هو، بل يكفي توظيف عناصره ومعطياته توظيفا فنيا أو رمزيا لحمل أبعاد الرؤيا الأدبية وفق ما يتطلبه العصر ووفق مقتضى الحال. فيرى سعيد قطين أن موروثنا جزء من تراث الأمة والإنسانية عامة، وهذه حقيقة على كلّ إنسان عاقل أن يستوعبها، كما علينا أن نفتح على معطياتها مع مواكبة متطلبات التطور الذي يشهده العصر، كما يطلب منا أيضا فهم تراثنا وفق ما يتحقق اليوم من معارف أفكار وعلوم، ممّا يسهم في جعل تراثنا إنسانيا ينسجم مع متطلبات العصر وتراث الأمم الأخرى دون الانسلاخ من تراثنا وهويتنا العربية والوقوف في برائين الثقافة الغربية<sup>2</sup>.

وقد دأب الأدباء العرب على توظيف الموروث الشعبي والثقافة التقليدية في أعمالهم وإنتاجاتهم الأدبية، خاصة الروائية منها. فهو مصدر إلهامهم. وعلاقة الأديب بالتراث علاقة تفاعل، لأنّ الأديب لا يحاكي التراث ولا

توظيف الموروث الشعبي والتراث الديني وسؤال الهوية في الخطاب الروائي الجزائري رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " للطاهر وطار نموذجاً — د. عبد الله توام / أ.د شرف عبد القادر.

يعيد إنتاجه كما هو، بل يقوم على التحاور مع عناصره لتطويرها أكثر واستثمار إمكاناتها الفنية. إلا أنّ أشكال توظيفه في الأعمال الأدبية تختلف حسب تجربة كلّ أديب وحسب أبعاده النفسية والشعورية لما يحويه من فكر إنساني وقيم فنية ومبادئ إنسانية.

### 3 - هاجس الموروث الشعبي والتراث الديني في المنجز الروائي :

لقد أسهمت الرواية العربية في نقل الموروث الإنساني والتراث الديني، والذي ومن واجبنا الانفتاح عليه، عربياً كان أو غربياً، وهذا من متطلبات العصر شئنا أم أبينا، وهي تعمل على فهمه في ضوء ما يتحقق من معارف وعلوم حديثة، وذلك باستخدام تقنيات أدبية كالحوار والعناصر الأدبية الأخرى مع إبداء وجهات نظر، وفق ما يراه الروائي مناسباً لذلك دون قيد أو شرط<sup>3</sup>. وقد تميّزت الأعمال الروائية الجديدة باستثمارها للتراث الإنساني، بل وجعلته مكسباً تستقي منه مادتها ومنبعاً معرفياً تتجلى من خلاله سلطة الرؤيا الإبداعية للأديب. وهذا هو سرّ تجددّها وانفتاحها على الآخر، فعادت من الأشكال الأدبية التعبيرية الأقدر على كتابة التاريخ العميق والتقاط صورته، وكذا مواكبة تحولات العصر. فأصبحت الرواية العربية اليوم نموذجاً جاداً ومجالاً لمكاشفة الذات والحوار وطرح الأسئلة الصعبة لرصد تغيرات المجتمع والإنسان والفضاء<sup>4</sup>.

وقد ظهرت إنتاجية النص الروائي الجديد بدرجة كبيرة من الاستيعاب للتراث الشعبي والتاريخ الإنساني ممّا يدلّ دلالة واضحة على امتداد التراث في الواقع، لما يبديه الروائيين من إنجازات فنية في قراءاتهم للتاريخ وتجسيدهم لمواقف منه بناء على ما تستدعيه متطلبات العصر ومقتضيات المستقبل<sup>5</sup>.

### 4 - توظيف الموروث الشعبي والديني في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " :

يمثل استدعاء التراث والموروث الشعبي في الأعمال الروائية تصنيفات وأنواع مختلفة من الصياغات المرتبطة بمراحل زمنية متباينة من التاريخ الإنساني، إنه إبداع مجسّد في أشكال تعبيرية تتسم ببساطة التركيب في عناصرها ولغتها وعمق في المعنى.

وقد بدأ البحث في الموروثات الشعبية حديثاً لما تتوفّر عليه من عادات وتقاليد وطقوس جماعية، ولأهميتها وقدرتها على الوفاء بمتطلبات العصر وحاجات المجتمع النفسية والمعنوية، ولأنّها تعين على حركة التاريخ وترفع من قيمة وشأن المثل الاجتماعية والإنسانية العليا وتبرز الملامح القومية والوطنية<sup>6</sup>.

أما رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي "، فقد استدعت التراث الشعبي والديني بجدارة، فقد نهل مؤلفها من الروح الدينية والمخيال الشعبي العربي. وهو يطمح إلى إثراء تجربته الروائية بتطويع التراث معبرا عن رؤيته وفهمه لكينه الحياة، ولأجل هذا نجد دلالات جديدة تُغني تجربته الروائية موظفًا في ذلك التراث بكل ما يحويه من مصادر، مستفيداً من مخزونه وتجاربه، فقد صاغ الطاهر وطار من التراث ما يناسب رؤياه بعيدا عن الالتزام بالتاريخ وسير أحداثه. فنجده يستدعي التاريخ والموروث الشعبي والسيرة الشعبية وكتب التراث والنص الديني وهو يبدع توليفات لغوية ذات بعد ديني اعتمادا على المعجم الديني، فنجد الكلمة تحمل ثقلا دلاليا وكثافة رمزية، كما يقتبس نصوصا دينية بهدف تأكيد رمزية الرواية وتكثيف رؤيتها.

إنّ استدعاء التراث العربي والديني في الرواية الجزائرية المعاصرة جزء من استدعاء التراث بصفة عامة، ولأجل دراسة أشكال استدعاء التراث الديني في الرواية الجزائرية كان لابد من إلقاء نظرة شاملة على التراث العربي وكيفية تجريبه من قبل الروائي للوصول إلى شكل روائي عربي جديد.

فقد استوحى الطاهر وطار التراث الديني في أعماله الأدبية فوظفه توظيفا فنيا، ورغم بما يزرع به من طاقات إبداعية في جانبه الأدبي والجمالي والفكري، مما انعكست آثاره على الخطاب الروائي الجزائري انعكاسا فنيا تجاوب معه القارئ العربي بشكل إيجابي كبير، إذ تحوّل استلهام التراث العربي والديني في الرواية الجزائرية المعاصرة من مجرد تسجيل للمادة التراثية إلى أداة تعبيرية عن الحاضر، أي أن الكاتب انتقل من مرحلة التعبير عن التراث إلى مرحلة التعبير بالتراث<sup>7</sup>، مما جعل النص التراثي نصا قادرا على التواصل مع الحاضر بما يولده من دلالات جديدة في التجربة الروائية<sup>8</sup>. والطاهر وطار من الروائيين الذي أظهرها قدراتهم التجديدية في أعمالهم الأدبية، ونذكر على وجه الخصوص رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " التي أبدع فيها بتوظيفه للتراث العربي والديني بكامل أشكاله، وقد لاحظنا ذلك في مستويات خطابه السردي.

## 5. أشكال توظيف الموروث الشعبي والتراث الديني في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ":

لقد شهدت الرواية العربية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة تفاعلا كبيرا بين النص الروائي والنص التراثي بصفة أنّ التراث عامل فني وفكري فاعل في النصوص، مما أدى إلى تغيرات عديدة على صعيد المفهوم وآليات الاشتغال السردي.

## 5. 1 - توظيف الحكاية الشعبية في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ":

لقد قام الروائي الطاهر وطار بتوظيف الحكاية الشعبية القديمة وأحدث عليها تغييرات ليخلق حكايات جديدة تتعلق بالحكايات الأصلية، كما قام بنقل هذه الحكايات من مستواها الخيالي إلى مستوى واقعي راهن، وذلك بإسقاط شخصية بطل الحكاية الشعبية على شخصية بطل الرواية، و كأنها رمز لخوف الإنسان العربي وانخزاه وعجزه، كما قام بتوظيف البعد العجائبي للحكايات والسير الشعبية القديمة كتراث سردي شعبي عربي على مستوى الفضاء والزمن لاستلهاهم خصوصيات الزمن العجائبي الذي توحى إليه حركة " الاستباقات الزمنية " على مستوى السرد مرت بها الأحداث وقامت بفعلها الشخصيات.

في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " اختزل وطار حركة الزمن التي جعلها وحصرها في أفعال " الولي الطاهر " وحركته داخل السرد المحكي، برهات زمنية تخطأها بطريقة خارقة للمألوف، فيها من اللا معقولة ما هو مرتبط بالسلوك العجائبي للشخصية الرئيسية أو البطلة من جهة وحركات الزمن من جهة أخرى. وقد تجلّى ذلك في مقاطع نصية من متن الرواية، ابدى فيها الروائي تنقلات وتحركات " الولي الطاهر " من فعل زمني إلى آخر بلحظات زمنية تم اختفاؤها أو اختزالها. واختفاء واختزال تلك اللحظات مظهر بنائي سردي يكمل الصورة التي رسمت من قبل الروائي لصاحب الكرامات " الولي الطاهر ". وتمثّل لذلك من خلال ما قاله الروائي عن " الولي ": " نزل من على العضاء، ومال بربع دائرة، يمينا، قبالة قصر آخر، شبيه بهذا المفترض أنه المقام الزكي، صلى الركعة الأولى... ما إن " حي وزكى " حتى داهمته حمى مصحوبة برعشة فوجد نفسه، يشب قافزا، يردد مع الأصوات المنبعثة من الداخل: يا خافي الألفاظ نجنا مما نخاف. طاف بالمقام الزكي وهو كذلك سبع مرات، ثم سقط عند أرجل العضاء يتخبط مصروعا، مرفوع السبابة يتلو الشهادة. وجد نفسه عرض جبال لا يعرفها، تتخللها وديان غزيرة المياه، قوية السيالان... " <sup>9</sup>.

لقد استطاع الروائي بتجربته وحنكته الإبداعية أن يختزل ويتجاوز المحطات الزمنية الرابطة بين سقوط " الولي الطاهر " مصروعا مطروحا على الأرض عند مقامه الزكي وارتحاله إلى مكان في جبل غريب عنه. ليظهر بذلك الروائي تسلسلا منطقيًا فرض من خلاله عرضه لبواعث ودواعي هذا الانتقال الزمني، وكذا تجلّي بعض المحطات الزمنية مجسّدة في انتقال " الولي الطاهر " من زمن تاريخي حقيقي إلى زمن خيالي غيبي، ما أبدى نوعا من العجائبية التي تبعد عن الأزمنة الواقعية برؤاها المستقبلية، وهذا ما تمثل له من خلال المقاطع النصية الآتية:

- " عند توقف التبريح وجدنا أنفسنا هنالك في الذرى عند كل نجمة، وعند كل مجرة، وفي كل كوكب، فوق كل كئبان رمل، وفوق كل تلة من طين او من حجر. فوق كل قمة جبل. في كل فج وبر، عرض البحار والمحيطات، نغوص في العمق ونعلو كل موجة "10.

الروائي من خلال هذا المقطع النصي يصف مقام " الولي الطاهر " بالزكي في اللحظات الغيبية المستقبلية التي يتمتع بها كل من يصل إلى مثل هذه المراتب الدينية التي تمثل أعلى هرم المقامات الإنسانية عبر التصورات الروحانية.

- " سعدت الى خلوتي، حيث ابجرت من خلال سجدة يقول الشيوخ إنها استغرقت سبعة أيام، ويقولون إنهم لم يعثروا في كتب أولياء الله الصالحين الذي استبقونا على مثل السجدة. قلت ومن أدراكم فيوم ربكم، كألف سنة مما نعد، وقد يكون نفحني بلحظة منه "11.

## 5. 2 - توظيف النص الديني في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " :

لقد استدعى الطاهر وطار النص الديني ووظفه على مستوى السرد بأشكال مختلفة كالاستبدال حين يغيّر الروائي كلمة بكلمة أخرى مع الحفاظ على محتوى ومعنى النص الديني بنقله إلى سياق آخر، أو للاستشهاد حين وجود علاقة مشابهة بين النص الروائي الحاضر والنص الديني، كما تم توظيف القصة الدينية كقصة أهل الكهف، وقصة إسماعيل و إبراهيم عليهما السلام، وقصة موسى والرجل الصالح عليهما السلام. والروائيون هنا قد تفاوتوا في توظيفهم للقصة الدينية. فقد وظفت القصة الدينية للتعبير عن استمرار الماضي في الحاضر، وبالتالي القدرة على قراءة الحاضر من خلال الماضي<sup>12</sup>.

ومن تجليات النص الديني في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي "، بما تتضمنه الكلمة من تناص ديني مع القرآن الكريم، نلاحظه في الحضور القوي لسورة الفاتحة والأعلى في مواضع كثيرة من الرواية، ويعود تكرار الفاتحة لأجل حمد الله وطلب الهداية منه، بينما نجده يركز في سورة الأعلى على الآية: ﴿ سَيَذَكَّرُ مِنْ يَخْشَى (10) وَبِتَجْنِبُهَا الْأَشْقَى (11) الَّذِي يَصَلِي النَّارَ الْكُبْرَى (12) ثُمَّ لَا يُمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (13) ﴾<sup>13</sup>، وكأنّ الولي الطاهر يخاف أن يكون من الأشقياء فيواجه مصيرهم أو يخشى فقدان ذاكرته مرة أخرى فيمحي القرآن من صدره<sup>14</sup>.

هنا الروائي يحاول أن يسقط هذه الآيات على الواقع الجزائري، فهو حين يكرّر الآية: ﴿ سَتُقَرَّبُكَ فَلَا تَنْسَى (06) ﴾<sup>15</sup>، فإنه يُشير إلى المسكوت عنه في العالم العربي، كما أنّه حين يصور الولي الطاهر وقد غاب عنه المشرق والمغرب، فلم يعرف اتجاه القبلة، فهو يسقط هذه الحالة على حالة الإنسان المسلم الذي يشعر بالحيرة والاعتراب

توظيف الموروث الشعبي والتراث الديني وسؤال الهوية في الخطاب الروائي الجزائري رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " للطاهر وطار انموذجا — د. عبد الله توام / أ.د شرف عبد القادر.

في وطنه، فلم يدرك أي اتجاه يتبع، مثلما ورد في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ (45) <sup>16</sup>. وهذه الوضعية دفعت " الولي الطاهر " إلى المباشرة في تيهانه باحثا عن حقيقة الواقع العربي الإسلامي الذي يشبه القبلة الضائعة بعد أن توقفت الشمس في وسط السماء ولم تغب، وكأن هذا الوطن العربي يتبع أي نظام دون وعي بالخلفيات، و يستحضر الآية ﴿ فَأَيُّ تَيْمَاتِهِ تُؤَلَّوْنَ فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (115) <sup>17</sup>. وفي موقف آخر وظَّف الروائي وطار قصة سيدنا موسى عليه السلام تائها في الصحراء عندما حاول ان يتعد عن فرعون الطاغية، وهذه حالة شبيهة بحالة " الولي الطاهر " الذي لم يجد ضالته تماما مثل سيدنا موسى، فيستحضر الآية ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (24) <sup>18</sup>، كما يستحضر قصة أهل الكهف في الملفوظ: " لا يدري الولي الطاهر كم استغرقت هذه الغيبة، فقد تكون لحظة وقد تكون ساعة، كما قد تكون قرونا عديدة " <sup>19</sup>، وهذا يتناص مع قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ (19) <sup>20</sup>.

### 5.3 - توظيف المصطلح الصوفي في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ":

يتعمد الأديب العربي استعمال المعجم الديني من آيات وأحاديث وأذكار ومأثورات وأوراد وفق تكوينه الديني، إذ يعالج مسائل يستعصى إدراكها على العقل غير المؤيد بالذوق الديني " ويستعصى على اللغة غير الرمزية أن تفصح عن أسرارها " <sup>21</sup>. فأصبح الأديب متجاوزا للغة الظاهرة بلغة يسكنها معنى مغايرا يصدم المتلقي، فهو كلام لا تحيط به العبارة، وفهمه يعني فهم حقيقة الذات الصوفية والخطاب الصوفي <sup>22</sup>، مما يضفي عجائية شغلت بعض مقاطع الرواية منها " الغيبية " التي استدعتها حاله الصوفية المبحرة في العوالم الميتافيزيقية برؤى مستقبلية، مثلما ورد في المقاطع النصية الآتية:

- " عند توقف التبريح، وجدنا أنفسنا هنالك في الذرى عند كل نجمة، وعند كل مجرة، وفي كل كوكب، فوق كل كئيبان رمل، وفوق كل كئيبان من طين أو من حجر. فوق كل قمة جبل. في كل فج وبر، عرض البحار والمحيطات، نغوص في العمق ونعلو كل موجة " <sup>23</sup>.

- " صعدت الى خلوتي، حيث أبجرت من خلال سجدة يقول الشيوخ إنها استغرقت سبعة أيام، ويقولون أنهم لم يعثروا في كتب أولياء الله الصالحين استبقونا، على مثل هذه السجدة فقلت ومن أدراكم فيوم ربكم، كألف سنة مما نعدّ، وقد يكون نفحني بلحظة منه " <sup>24</sup>.

- " نزل من على العضاء، ومال بربع دائرة يمينا، قبالة قصر آخر، شبيه بهذا المفترض أنه المقام الزكي، صلى الركعة الاولى... ما من حي وركى حتى داهمته حمى مصحوبة برعشة فوجد نفسه يشب قافزا، يردد مع الاصوات المنبعثة من الداخل: يا خافي الألفاف نجنا مما نخاف. طاف بالمقام الزكي وهو كذلك سبع مرات، ثم سقط عند أرجل العضاء يتخبط مصروعا، مرفوع السبابة يتلو الشهادة. وجد نفسه عرض جبال لا يعرفها، تتخللها وديان غزيرة المياه، قوية السيلان، وسط قوم على رؤوسهم قلنسوات من صوف مزركش "25.

الروائي وطّار يصف اللحظات الزمنية الغيبية المستقبلية ككرامات يتمتع بها كل من وصل الى مراتب الصوفية في أعلى مقامات الإنسانية عبر تصوّراتهم الروحانية. مثل وصفه لأفعال " الولي الطاهر" وتنقلاته داخل السرد المحكي بطريقة عجائبية فيها من اللا معقولة ما هو مرتبط بالسلوك العجائبي للشخصية البطلة، إذ يختزل وطّار في روايته لحظات زمنية استطاع تجاوزها من خلال مقاطع ينتقل فيها "الولي" من فعل زمني إلى آخر مستعملا في ذلك اللغة الدينية والمصطلحات الصوفية استعمالا مكثفا، فهو يستخدم لغة دينية غامضة أحيانا أو متعارضة مع عادة الصوفيين، فمثلا الملفوظ الذي تقول فيه إحدى شخصيات الرواية: " أنزل من السماء فأخذ موقعي "26، فهذا يتعارض مع عادة الصوفيين الذين يصعدون إلى السماء بشطحاتهم و ليس نزولا منها<sup>27</sup>، كما وظف الكاتب المصطلحات الصوفية " كالحلول " الذي يعني اتحاد ذاتين في ذات واحدة، كما نجد مصطلح " التوحد " حين توحد الولي الطاهر والمريدون في شخص "مالك بن نوية" والمريدات في شخص أم متمم، فيقول: " كل الإناث أم متمم وكل الذكور مالك بن نوية، أنا كذلك في نظر الطالبات مالك بن نوية "28.

إنّ استيعاب وفهم معنى توظيف المصطلحات الدينية والصوفية من قبل الأديب هو خطوة مهمة بالنسبة للمتلقى، لهذا كان الخطاب الديني مليئا بالجاز ومكثفا بالإشارات والعلامات الرمزية. فالمعجم الديني يحضر من خلال التركيز على المفاهيم الدينية ولكن بصورة إبداعية محملة بجمالية جديدة محتفظة بعمق الرؤيا الدينية ومنفتحة على الدلالة المعاصرة.

## 6 - سؤال الهوية في الكتابة الروائية الجزائرية المعاصرة ( رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " ):

يسعى المبدع العربي دوما في أعماله الأدبية للبحث عن هويته المفقودة بمصارعة التيارات الفكرية المختلفة، خاصة الذين يشتغلون على توظيف التراث في أعمالهم بما يتناسب وتقنيات الكتابة الجديدة وهوية الإنسان العربي وقضايا مجتمعه. فقد وظّف الروائيون الجزائريون في منجزاتهم الروائية المعاصرة التراث بأشكاله المتنوعة من أدبية وتاريخية وشعبية وأسطورية لأجل تهديم الأشكال الإبداعية التقليدية وإحداث أساليب تعبيرية جديدة تصور آلام

توظيف الموروث الشعبي والتراث الديني وسؤال الهوية في الخطاب الروائي الجزائري رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي " للطاهر وطار نموذجاً — د. عبد الله توام / أ.د شرف عبد القادر.

ومآسي الإنسان المعاصر وكذا آماله ومساعيه لإثبات هويته العربية. ليبدو استلهام الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية المعاصرة أداة جمالية تقدم معرفة هادفة كلّها تساؤلات عن كيان الإنسان العربي وهويته من خلال محاورته مع الآخر وصراعه مع الإيديولوجيات المختلفة والمتعددة محدثاً بذلك انفتاحاً أصطلح عليه في الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة بـ " التعالق النصي " .

وتوظيف الموروث الشعبي ميزة ارتآها الطاهر وطار في كثير من أعماله الابداعية الباحثة لغرض تثبيت الهوية العربية والانطلاق من جديد نحو العالمية بالتعبير عن آلام الغنسان العربي وآماله في الحياة، وبالتالي التفاعل مع التراث يعد فاعلاً إيجابياً لامتداده الثقافي والروحي مع الواقع الذي تنتج فيه متفاعلات نصية جديدة ومستمرة<sup>29</sup> .

وقد تجلّى الموروث الشعبي في الكتابات الروائية الجديدة من خلال استدعاء الكرامة الصوفية، والتي هي معجزة خاصة بالصوفي، تُعرّف بأنها " أمر خارق للعادة على يد رجل ظاهر الصلاح ليس بشيء في الحال، ولا في المال. و الفرق بين المعجزة والكرامة هو المقارنة بدعوى النبوة، و أنّ الكرامة تكون من جنس المعجزة، إلا ما ثبت اختصاصه به"<sup>30</sup>، وهي ظاهرة تاريخية ترتبط بظاهرة الولاية والصلاح فهي عطاء فكري وسلوكي متعلق بقوى غيبية، وهي أيضاً نتاج اجتماعي و " إفراز لشروط تاريخية وانعكاسات لإكراهات اجتماعية، وتخلّ لواقع يزخر بالتناقضات"<sup>31</sup>. فالصوفية تسعى إلى تحقيق ما هو خارق للعادة والطبيعة، ويعتبرها عبد اللطيف الشاذلي تشكيلاً للواقع، وتعبيراً عنه بأسلوب رمزي<sup>32</sup>.

النص الروائي يتقمص الرؤيا الصوفية التي تحمل من حلم النوم وحلم اليقظة، لإتاحة الحركة الحرة في التنقل بين الأزمنة و الشخص و الأشياء، فالرؤيا عند المتصوفة هي أن يخلق الله في قلب النائم ما يخلق في قلب اليقظان، بحيث تنبثق لدى المتصوفة في الغالب إمّا من الرؤيا المنامية أو الإلهام أو من خلال صوت الهاتف<sup>33</sup>.

أما رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي "، فتمثل رحلة في الذات الإنسانية وقيم المجتمع والسياسة والدين، فهي محاولة للوصول إلى المعرفة الإنسانية، أي معرفة الإنسان لذاته في علاقته بالله والكون لإثبات هويته العربية والإسلامية، تجلّت من خلالها أشكال التراث العربي والديني كموضوع للسرد، وقد أفادت من الرموز والمعاني القديمة التي أنتجها التراث الإنساني.

إنّ هذه التحولات الحاصلة في الرواية العربية المعاصرة وبدرجة أخص في المنجز الروائي الجزائري، وذلك باستدعاء الموروث الشعبي العربي والتراث الديني بكل ما يحمله من حمولة رمزية قوية، أنتج مجموعة من الوظائف على صعيد السرد والدلالة. أما رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي "، فقد تميّزت بتشكيلها الإبداعي الجديد في

توظيف الموروث الشعبي الأدبي الجزائري والعربي مثل: الخرافة، والمثل، والأسطورة، وبالتالي البحث في أشكال التمثيل النصي في علاقته بالموروث الشعبي، مما يمثل نموذجاً سردياً يهدف إلى الاستفادة من التراث وكيفية التعامل معه باعتباره ذاكرة الأمة وعصبها، إلا أنّ ما نوظفه اليوم من تراث في أعمالنا الأدبية فليس كلّ، بل ما تبقى منه، وهذا لعدم حفظه<sup>34</sup>، فتراثنا يساعدنا ويفتح لنا باب التعبير عن انشغالاتنا وتساؤلاتنا الراهنة، وبه نستشرف على آفاق المستقبل ونتجاوز الواقع إلى المأمول بوعي جديد يدلّ على تفاعلنا الإيجابي وثقافة جديدة تلامس واقعنا الذاتي وتساير العصر ومتطلباته<sup>35</sup>.

إنّ توظيف الطاهر وطار لعناصر الموروث الشعبي واستثماره للتراث الديني في روايته " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، هو تعبير منه عن انتمائه لهوية الشعب الجزائري المناضلة والمكافحة عبر مراحل تاريخية مختلفة ومتعددة، أهمها حرب التحرير، مما يضيف على هذا العمل الأدبي جمالية أكثر وبعد إيديولوجي وديني<sup>36</sup>. والمنجز الروائي - كجنس أدبي حديث - باحتوائه الموروث الشعبي كذاكرة حية، والتراث الديني كأحد ثوابتها الأساسية، قد استطاع أن يكتسب مكانة فنية في عالم الكتابة الجديدة. وبذلك غدت الرواية كنسيج حكائي بصيغة فنية جديدة<sup>37</sup>.

## 7 - خاتمة :

من خلال ورقتنا البحثية هذه توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- أنّ الطاهر وطار قد استلهم الموروث الشعبي والتراث الديني والمصطلح الديني بصفة عامة في تجربته الروائية لما له من قدرة على الكشف عن الذات والوجود، مما يتوافق وطبيعة ممارسته الذوقية وتفكيره وحده وتأويله.
- أنّ ظاهرة التفاعل بين الرواية والتراث وصلت إلى مرحلة الاستلهم والتوظيف، مما حقق التنوع والغنى في المنجز الروائي، وبدرجة أكثر في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي".
- أنّ توظيف الموروث الشعبي والتراث الديني في رواية " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، كان من أجل الاستفادة من جمالياته ولغته.
- أنّ الطاهر وطار كان في أعماله الأدبية يسعى دوماً للبحث عن هويته المفقودة بمصارعة التيارات الفكرية المختلفة، وفي ذلك إثبات لهوية الإنسان العربي وقضايا مجتمعه.

## 8 - الهوامش :

- <sup>1</sup> ينظر: امبرتو إيكو: 6 نزهات في غابة السرد، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2005، صص: 125-126
- <sup>2</sup> ينظر: سعيد يقطين، السرد العربي. مفاهيم وتحليلات، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2005، صص: 60. 61
- <sup>3</sup> ينظر: محمد شاهين " ، آفاق الرواية - البنية والمؤثرات، منشو اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2001، ص 07
- <sup>4</sup> ينظر: محمد برادة، أسئلة الرواية - أسئلة النقد، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، المغرب ، 1996، ص 56
- <sup>5</sup> ينظر : سعيد يقطين، الرواية والتراث السردى، رؤية للنشر والتوزيع ط 1، القاهرة ، 2006، ص 55.
- <sup>6</sup> ينظر: عبد الحميد يونس، الدفاع عن الفولكلور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص 45.
- <sup>7</sup> محمد حسين أبو الحسن، الشكل الروائي والتراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 1، 2012، صص: 37 – 38.
- <sup>8</sup> محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2015، ص 175
- <sup>9</sup> الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، منشورات التبيين، الجاحظية، الجزائر، د ط، 1999، صص: 30 – 31.
- <sup>10</sup> الرواية نفسها، ص 40.
- <sup>11</sup> الرواية نفسها، ص 38.
- <sup>12</sup> محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، م.س، ص 175
- <sup>13</sup> سورة الأعلى، الآيات : 10 ... 13.
- <sup>14</sup> شادية بن يحيى: الرؤيا التاريخية الإسلامية عند الطاهر وطار، مجلة ديوان العرب ( مجلة إلكترونية )، موقع ديوان العرب، <http://www.diwanalarab.com/spip.php?article24310>
- <sup>15</sup> سورة الأعلى، الآية 06.
- <sup>16</sup> سورة الفرقان، الآية 45
- <sup>17</sup> سورة البقرة، الآية 115
- <sup>18</sup> سورة القصص، الآية 24
- <sup>19</sup> الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، م.س، ص 13
- <sup>20</sup> سور الكهف، الآية 19.
- <sup>21</sup> ابن عربي، فصوص الحكم: تحقيق أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1980، ص 9
- <sup>22</sup> ينظر: وذاني بوداود، اللغة الصوفية عند جمال الغيطاني، مجلة حوليات التراث، مجلة علمية محكمة سنوية، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد 6، 2006، ص3.
- <sup>23</sup> الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، م.س، ص 40.

- <sup>24</sup> الرواية نفسها، ص 38
- <sup>25</sup> الرواية نفسها، ص: 30 - 31.
- <sup>26</sup> الرواية نفسها، ص 91
- <sup>27</sup> شادية بن يحيى: الرؤيا التاريخية الإسلامية عند الطاهر وطار، مجلة ديوان العرب (مجلة إلكترونية)، موقع ديوان العرب، م.س.
- <sup>28</sup> الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، م.س، ص 77.
- <sup>29</sup> ينظر: سعيد يقطين، الرواية والتراث السردى، م.س، ص 230.
- <sup>30</sup> الكتاني نور الهدى: الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2008، ص 13.
- <sup>31</sup> إبراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، ط 1، 1995، ص 131
- <sup>32</sup> ينظر: عبد اللطيف الشاذلي، التصوف و المجتمع - نماذج من القرن العاشر الهجري، منشورات جامعة الحسن الثاني، المغرب، د ط، 1989، ص 95
- <sup>33</sup> ينظر: أمينة مستار، بنية الصوفي في رواية "كتاب التحليات، الأسفار الثلاثة" لجمال الغيطاني - قراءة تناسية، مجلة إنسانيات، ع: 50، س: 2010، ص 62.
- <sup>34</sup> ينظر: محمد العابد الجابري، نحن والتراث، دار الطليعة، بيروت، 1970، ص.47.
- <sup>35</sup> ينظر: سعبد يقطين: الرواية والتراث السردى، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، 1991، ص 183.
- <sup>36</sup> ينظر: مخلوف عامر، توظيف التراث في الرواية الجزائرية " بحث في الرواية المكتوبة باللغة العربية، منشورات دار الأديب، ط 1، الجزائر، ص 105.
- <sup>37</sup> ينظر: محمد سالم محمد الأمين، مستويات في اللغة السرد العربي المعاصر، دراسة سيمانطيقا في نظرية السرد، مؤسسة الانتشار العربي، ط 1، بيروت - لبنان، 2008، ص 48.

## 9 - قائمة المصادر والمراجع:

- \*القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، ط5، 1432 / 2011، بيروت، لبنان.
1. الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، منشورات التبيين، الجاحظية، الجزائر، د ط، 1999.
2. إبراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، ط 1، 1995
3. امبرتو إيكو: 6 نزهات في غابة السرد، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2005.

- 4 . أمينة مستار، بنية الصوفي في رواية " كتاب التحليلات، الأسفار الثلاثة " لجمال الغيطاني - قراءة تناصية، مجلة إنسانيات، ع: 50، س: 2010 .
  - 5 . ابن عربي، فصوص الحكم: تحقيق: أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1980
  - 6 . سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، رؤية للنشر والتوزيع ط 1، القاهرة ، 2006 .
  - 7 . سعيد يقطين، "السرد العربي " مفاهيم وتحليلات "، رؤية للنشر والتوزيع، ط 1 القاهرة، 2005 .
  - 8 . شادية بن يحيى، الرؤيا التاريخية الإسلامية عند الطاهر وطار، مجلة ديوان العرب ، مجلة إلكترونية، موقع ديوان العرب.
- <http://www.diwanalarab.com/spip.php?article24310>
- 9 . عبد الحميد يونس، الدفاع عن الفولكلور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.
  - 10 . الكتاني نور الهدى، الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2008
  - 11 . محمد العابد الجابري، نحن والتراث، دار الطليعة، بيروت، 1970
  - 12 . محمد برادة، أسئلة الرواية - أسئلة النقد، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، المغرب، 1996 .
  - 13 . محمد حسين أبو الحسن: الشكل الروائي و التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 1، 2012
  - 14 . محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2015 .
  - 15 . محمد سالم محمد الأمين، مستويات في اللغة السرد العربي المعاصر، دراسة سيমানطيقا في نظرية السرد، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2008 .
  - 16 . محمد شاهين "، آفاق الرواية - البنية والمؤثرات، منشو اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2001 .
  - 17 . مخلوف عامر ، توظيف التراث في الرواية الجزائرية " بحث في الرواية المكتوبة باللغة العربية، منشورات دار الأديب، ط 1 ، الجزائر، ص 105 .
  - 18 . مخلوف عامر، توظيف التراث في الرواية الجزائرية " بحث في الرواية المكتوبة باللغة العربية، منشورات دار الأديب، ط1، الجزائر

19 . وذنايي بوداود، اللغة الصوفية عند جمال الغيطاني، مجلة حوليات التراث، مجلة علمية محكمة سنوية، جامعة مستغانم، الجزائر، ع:6، س: 2006 .